

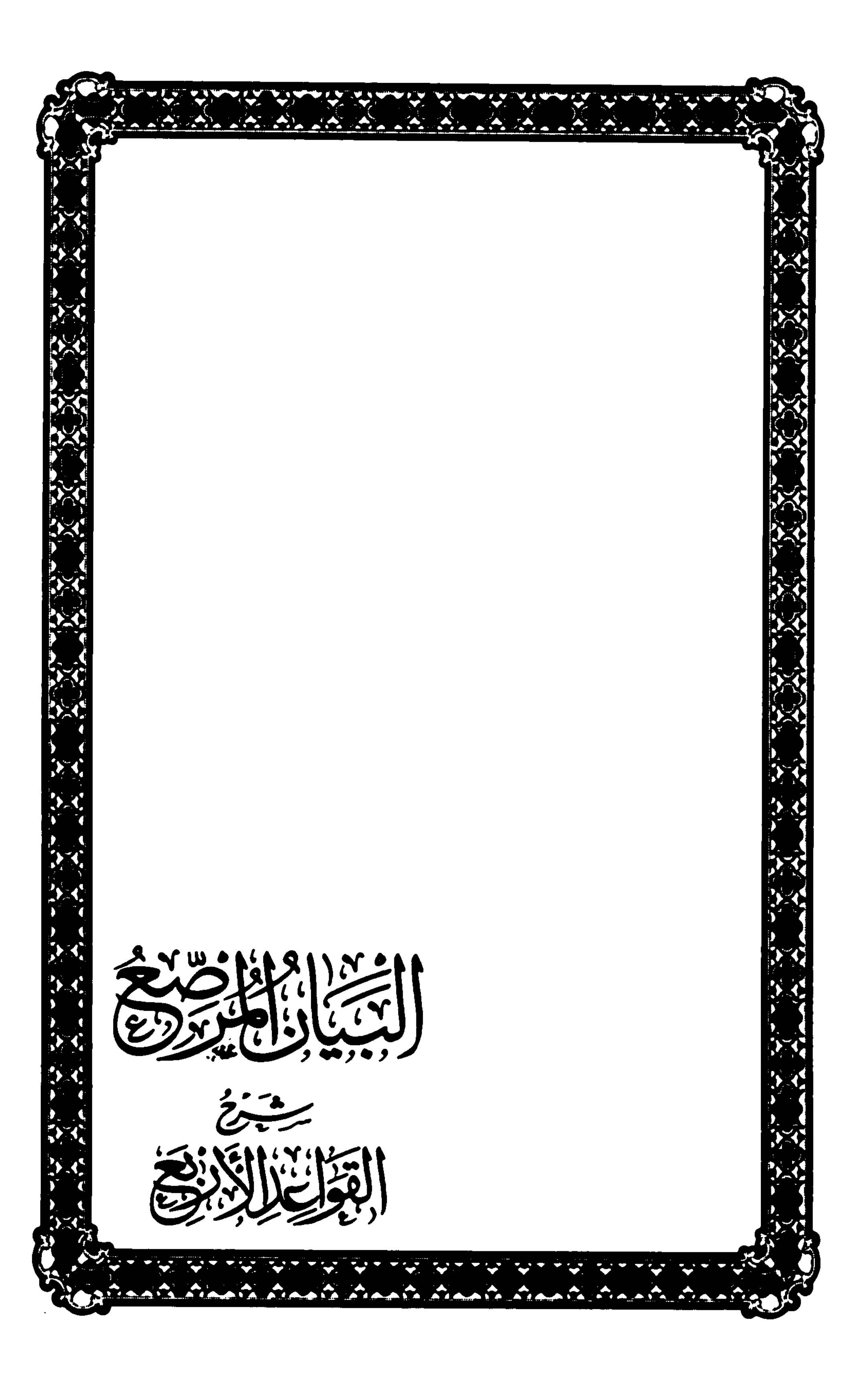
البيان المرصع

شرح

القواعد الأربع

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

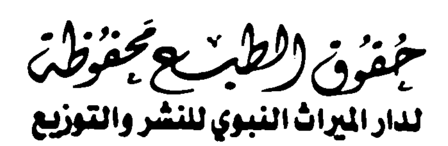
دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع



البيان المرصع

شرح

القواعد الأربع



الطبعة الأولى

1436هـ - 2015م



عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه

ما خلف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2012-5295

ردمك: 7-000-48-9947-978



التوزيع في مصر: دار المستقبل

50- شارع مينية التحرير- جسر السويس - عين شمس- الشرقية

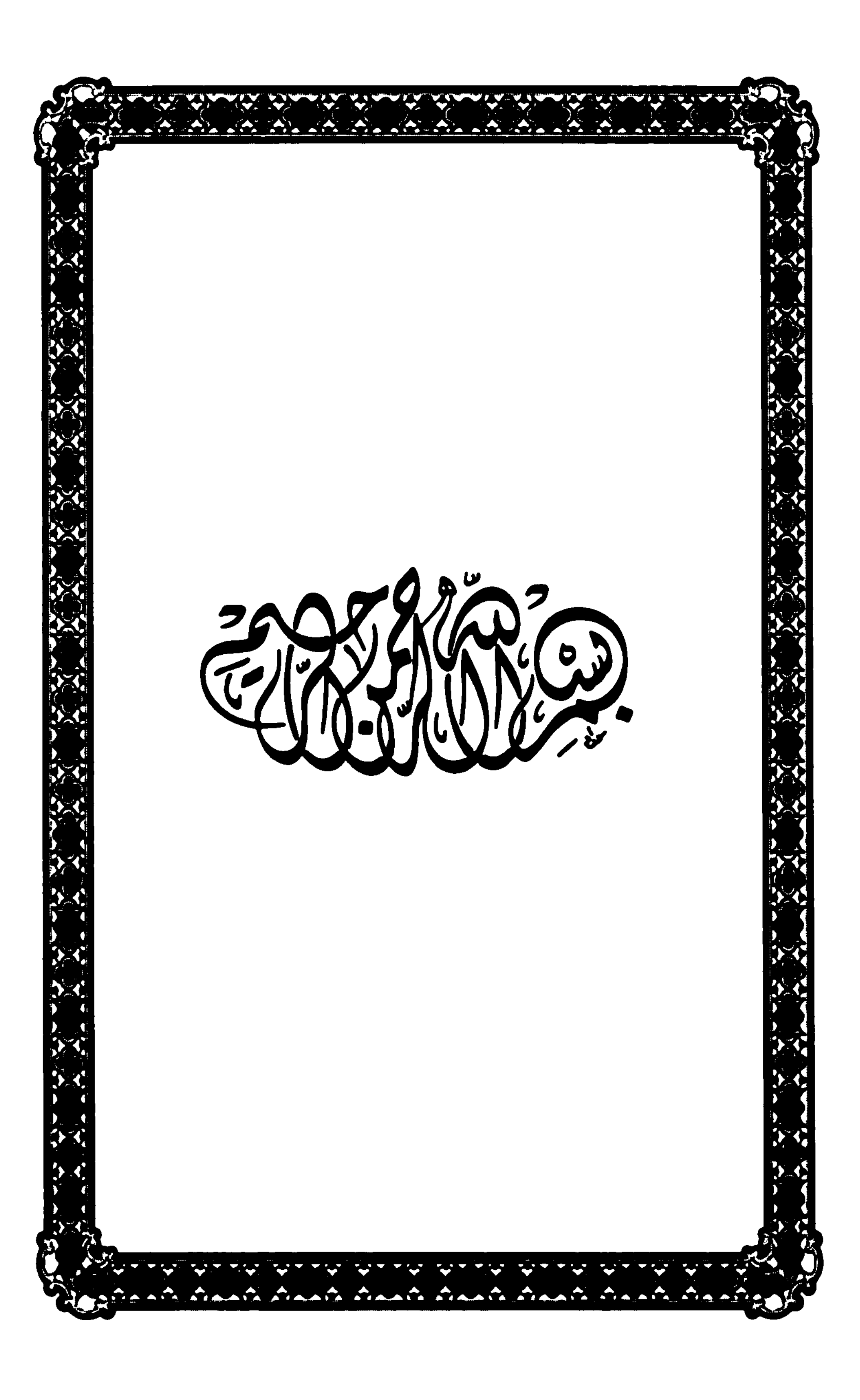
ت: 00201118328377



شرح القواعد الأربع

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم اما بعد:

فقد منّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليّ بشرح الرسالة النافعة الماتعة الموسومة بالقواعد الأربع تأليف الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في موطنين أحدهما: الخبر إحدىٰ مدن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، والآخر في ألمانيا، فقام أخونا وصاحبنا وتلميذنا أبو الربيع عرفات بن حسن المحمدي بجمع الشرحين والنظر فيهما حتىٰ تألّف منهما شرح مختصر توخيت فيه بيان ما تضمنته من مراد مؤلفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وقام أخونا عرفات بضبط النصوص من الكتاب والسنة وعزىٰ الآيات إلىٰ مواضعها من السور كما قام بتخريج أحاديث الشرح فشكر الله له وبارك الله

فيه، ونفع بشرحنا هذه الرسالة أهل الإسلام كما نفع بأصلها.

والله أسأل أن يثقل به موازيننا يوم نلقاه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وكتبه

عبيد بن عبد الله الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقا

١٤/ ١٠/ ١٤٣٣هـ



أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ.

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

❁ الشَّـرح:

فهذه خمس دعوات دعا بها المصنف ربه جَلَّ وَعَلَا للمخاطب والقارئ وهذا من أساليب التشويق التي درج عليها علماؤنا والغرض منه تهيئة المخاطب لما يلقىٰ إليه.

الدعوة الأولىٰ: (تولي الله له في الدنيا والآخرة).

ومعنىٰ هذا أن الله يكون مع هذا المسلم معية خاصة، مقتضاها حفظه وتثبيته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة علىٰ الإسلام والسنة.

الثانية: (جعله مباركًا أينما كان).

وهذه مأخوذة من قوله تعالىٰ فيما أخبر الله به من خبر المسيح ﷺ وأمه عليهما الصلاة والسلام قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[1].

والمعنىٰ بأن يجعله الله نافعًا منتفعًا حيثما حل، مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، حيث حلَّ نفع وانتفع، أفاد واستفاد، يُجري الله علىٰ لسانه الحق؛ فيتبصَّر به من أراد الله له البصيرة.

الدعوة الثالثة: (الشكر علىٰ العطاء).

وهذا معناه أنّه سأل للمخاطب أن يكون شاكرًا علىٰ ما أنعم الله به عليه في

---

(١) سورة مريم: ٣١.

دينه ودنياه.

والشكر يتحقق للعبد بثلاثة أمور:

أحدها: الإقرار بالنعمة باطنًا، وذلك باعتقاده أن هذه النعم هي من الله فمردّها إليه، إن شاء أبقاها وإن شاء سلبها.

الثاني: التحدث بالنعمة ظاهرًا عند الحاجة أو حين يرىٰ مصلحة تقتضي ذلك. مثل رزقت والحمد لله بعشرة بنين كلهم يحفظ كتاب الله.

الثالث: صرف هذه النعمة في مرضاة موليها ومعطيها وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وفي الحديث الصحيح **«نعم المالُ الصالحُ للعبد الصالح»**[1].

وأخرج الترمذي وصححه[2] من حديث أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها - وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد**

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٦٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وابن حبان (٣٢١٠)، والحاكم (٢/ ٢٣٦). من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث صححه ابن حبان، الحاكم، وقال الألباني في الضعيفة عند حديث (٢٠٤٢): (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٢) في جامعه (٢٣٢٥). وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد (١٨٠٣١)، والطبراني في الكبير (٢٢/) (٨٥٥)، والبغوي (٤٠٩٧).

رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي في ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء».

فهذا الحديث فيه تقسيم الناس إلى أقسام اربعة:

فالأول: غنيٌّ شاكر رفعه الله إلىٰ أفضل المنازل بعمله.

والثاني: فقيرٌ صابرٌ صادق النية علىٰ الإنفاق مما رزقه الله فبلّغه الله أفضل المنازل بنيته الصادقة.

والثالث: غنيٌّ بَطرٌ شحيحٌ بخيلٌ فأرداه عمله في أخبث المنازل.

والرابع: فقيرٌ بَطرٌ نيته سيئة فأردته نيته السيئة مع فقره في أخبث المنازل.

وبهذا نعلم أن النية الصادقة يرفع الله بها صاحبها فيبلّغه مبلغ العامل، والنية السيئة يردي بها الله صاحبها حتىٰ يكون في أخبث المنازل.

الدعوة الرابعة: (الصبر علىٰ البلاء).

والمعنىٰ أنه يصبر علىٰ كل ما أصابه من مصيبة محتسبًا ذلك عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والخامسة: (الاستغفار حال الذنب).

وقد جاءت أدلة هذه الثلاث الأخيرة في الكتاب والسنة ثناءً من الله أو وعدًا من الله لهم بحسن العاقبة وهاكم أدلتها علىٰ الترتيب السابق:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[١].

(١) سورة إبراهيم: ٧.

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعنّ دبر كلّ صلاة تقول اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[٢].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذَكَرَ اللَّهُ الصَّبْرَ فِي تِسْعِينَ مَوْضِعًا مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ بِضْعًا وَتِسْعِينَ موضعًا»[٣].

وفي الحديث الصحيح: «ما يصيب المسلم من هم ولا حزن ولا نصب - أي تعب - ولا وصب - أي وجع - حتىٰ الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[٤].

وأخرج مسلم[٥] من حديث صهيب بن سنان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحدٍ إلّا للمؤمن إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيرًا له».

وهذا الحديث ظهر لكم أنه جمع بين خصلتين وهما: الشكر والصبر.

فالمؤمن حال النعمة شكور، وحال المصيبة صبور، لأنّه موقنٌ بحسن

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وأحمد (٢٢١١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٠)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، والطبراني (٢٠/ ٦٠) (١١٠)، والحاكم (٣/ ٢٧٣). صححه الحاكم والذهبي والنووي والحافظ والألباني. انظر: خلاصة الأحكام (١/ ٤٦٨)، نتائج الأفكار (٢/ ٢٨١)، صحيح أبي داود (٥/ ٢٥٣).

(٢) سورة البقرة: ١٥٥ - ١٥٧. (٣) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ١٣٠ - محمد المعتصم بالله).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣). من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) (٢٩٩٩).

العاقبة وحميدها عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والدعوة الخامسة:

الاستغفار من الذنب. قال تعالىٰ في أوصاف المتقين ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي الحديث الصحيح: «يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله واستغفروه فإنّي أتوب إلىٰ الله في اليوم أكثر من سبعين مرة» أخرجه البخاري[2].

وفي صحيح مسلم[3]: «يأيها الناس توبوا إلىٰ الله، فإنّي أتوب إلىٰ الله في اليوم إليه مائة مرة» إلىٰ غير ذلكم من الآيات والأحاديث التي يدعو الله بها عباده إلىٰ التوبة والاستغفار وأنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقبل توبة التائبين، علىٰ هذا تظافر الكتاب والسنة وبمقتضاهما أجمع الأئمة علىٰ أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإن خالفهم المعتزلة ومن لف لفهم.

وها هنا سؤال: لما سميت الخصال الثلاث الأخيرة (عنوان السعادة)؟.

والجواب: عنوان السعادة أي علامة علىٰ فلاح المتصف بها وبشرىٰ خير له في الدنيا والآخرة. وسميت عنوان السعادة لما تظهره من تواضع العبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتَذَلُّلِهِ له وافتقاره إليه وأنّ الله غنيٌّ عنه، واعتقاده يقينًا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو خالقه و معبوده دون سواه وأن الأمر كله له كما أن الخلق كله له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) عن الأغر المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المؤلف:

(اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ -: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾.

❁ الشَّـرح:

أقول:

هذا المبحث يتضمن أولًا أسلوبًا تشويقيًا آخر صنعه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبدأه بما يهيج المخاطب علىٰ حسن الإصغاء والتقبل وذلكم شيئان:

الأول في قوله (اعلم) وهذا أمر بمعنىٰ الطلب، والثاني الدعاء (أرشدك الله لطاعته).

فما من مسلم منصف سلم الله فطرته إلّا وهو يتشوق لما سيلقىٰ إليه.

قوله (أرشدك الله).

أرشدك أي منّ عليك بالهدايتين: هداية الدّلالة، و هي معرفة سبيل النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

والثانية هداية التوفيق، وهي سلوك هذا الطريق بالاستجابة لله ولرسوله ﷺ، وهذان الطريقان لا يجتمعان إلّا في المؤمن ولا تنفك كذلك هداية التوفيق عن هداية الدلالة، لأنّ هداية الدلالة سبيل إلىٰ معرفة الحق والعمل به إخلاصًا لله ومتابعةً لرسوله ﷺ.

وأمّا الكافر فنصيبه هداية الدلالة والإرشاد فقط ولا نصيب له في الثانية.

والمنافق له نصيبه من هداية الدَّلالة ونصيبه من هداية التوفيق ظاهرًا. وقلنا ظاهرًا لأنّ المنافق نفاقًا إعتقاديًا كافرٌ في الباطن، فإسلامه في الظاهر فقط. **والطاعة طاعة الله هي فعل أوامره واجتناب نواهيه تقربًا إلىٰ الله بهذا وهذا.**

وهذا هو ما يتميز به المؤمن علىٰ الكافر؛ الكافر قد تبلغه هداية الدلالة والإرشاد؛ فأبو جهل وغيره من الكفار بلغتهم الرسالة وفهموها وعرفوا حقَّ الله عَزَّوَجَلَّ، لكنهم أبوا، لم ينقادوا لله ولرسوله.

أما أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإخوانه من الصحابة ومن تبعهم بإحسان - جعلنا الله وإياكم منهم - جمع الله لهم بين الهدايتين؛ هداية الدلالة فعرفوا حقَّ الله عليهم وحقَّ عباده أيضًا، وهداية التوفيق وهي الاستجابة لله ولرسوله.

هنا يأتي بعد الدعاء المقصودُ، فكأنّ سائلًا قال وماذا أعلم؟.

يعني الجملة بيانية (أنّ الحنيفيّة..) هذه بيانية والبيان بعد الإجمال من أساليب التشويق لأن النفس إذا بُدِئَتْ بالإجمال تشوقت إلىٰ ما بعده، هل بعده بيان أو لا؟ فإذا جاءها البيان وقد تهيّأت كان ذلك أدعىٰ لقبولها.

(أن الحنيفيّة ملة إبراهيم) الحنيفيّة: نسبة إلىٰ الحنيف، والحنيف من الحنف وأصله ميلٌ في القَدم.

وشرعًا هي الميل قصدًا بالكلية عن الشرك إلىٰ التوحيد. وقد أثنىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ علىٰ خليله إبراهيم ﷺ بالوصف بالحنيفيّة في مواضع كثيرة من كتابه قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

وأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محمدًا ﷺ باتباعه في مواضع و منها ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢].

وبهذا نعلم شيئين، أحدهما: أنّ دين الله الذي اختاره لعباده وبعث به رسله وأنزل به كتبه هي الحنيفيّة، وهي دين إبراهيم الخليل ﷺ، كما أنها دين من قبله من النبيّن ومن بعده من المرسلين إلىٰ خاتمهم محمد صلىٰ الله وسلم عليهم أجمعين.

قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٣] والمراد به الإسلام الشرعي. الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٤].

وقال ﷺ «الأنبياء إخوة من علّات وأمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد»[٥] والمعنىٰ أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفرقون في النسب ومجتمعون علىٰ دينٍ واحد وهو الإسلام. وفي الصحيحين[٦] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن

---

(١) سورة آل عمران: ٦٧.

(٢) سورة النحل: ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٩.

(٤) سورة آل عمران: ٨٥.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) البخاري (٤٣٠٩) و(٤٩٥٩) ومسلم (٧٩٩).

كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. قال وسمّاني لك قال: «نعم». قال: فبكى»[١].

ورواه أحمد والترمذي[٢] عن زر بن حبيش عن أبيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه عند أحمد: قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ**» قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيَّ: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ، غَيْرُ الْمُشْرِكَةِ، وَلَا الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ)، وللترمذي نحوه وفيه: (وَلَا الْمَجُوسِيَّةِ). الحديث.

الشيء الثاني: بطلان الدعوة التي ترفع بها جماعة الإخوان المسلمين عقيرتها بأن الديانات السماوية ثلاث كما يزعمون: الإسلام و اليهوديّة والنصرانيّة.

وثمت أمر آخر وهو بيان الحكمة التي خلق الله من أجلها الثقلين الجنّ والإنس، وهي عبادته وحده وهي عينها ملّة إبراهيم ﷺ، واستدل المصنّف بآية الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]. وفي هذا دليلٌ على أنّ الجنّ مكلّفون، ومقتضاه أن لمحسنهم الثّواب وعلى مسيئهم العقاب، وكذلك تفيد فائدةً أخرى وهي أنهم بلغتهم الرسالات والنبوّات.

والمراد بالطاعة في اللغة: موافقة الأمر بفعله، وموافقة النهي بتركه.

والمراد بها في الشرع: فعل المأمورات، وترك المنهيات، وتصديق أخبار الله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٠)، ومسلم (٧٩٩).

(٢) مسند أحمد (٢١٢٠٣). وجامع الترمذي (٣٨٩٨)، وقال: «حسن صحيح».

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

ورسوله، سواء كانت هذه الأخبار تُدرك بالحسِّ والمشاهدة، أو من أنباء الغيب.

ومن الطاعات المحافظة علىٰ الفرائض، والاستكثار من النوافل.

وأهم طاعة الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ؛ بل هو أساسها وأصلها وقاعدتها وهو زبدة الرسالات: الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

فاصل هذا الدين واساسه امران:

الأول: الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده، والتحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

والثاني: الإنذار، وإن شئت فقول التحذير من الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

ومن الأدلة علىٰ ذلكم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].



---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

قال المؤلف:

(فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

❁ **الشرح:**

في هذا بيان قبح الشرك ووجوب الحذر منه، وهذا بيّنه المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عدة أوجه.

الأول: تشبيه العبادة بالطهارة وتشبيه الشرك بالحدث، ووجه الشبه أنّ الكل مفسد لما خالطه، فالحدث يفسد الطهارة إذا خالطها والشرك يفسد علىٰ المرء عبادته، ويجعلها كأنّها غير موجودة وإن كانت صورتها ظاهرة مرئية للنّاس، لكن شرعًا هي معدومة.

الوجه الثاني: أن العبادةَ لا تسمىٰ عبادةً إلّا بالتوحيد. فإذا خالط الشرك عبادةً واحدةً بطلت جميع عباداته فعلىٰ سبيل المثال من شهد الشهادتين وصلّىٰ وزكّىٰ

وصام وحجّ، لكنه ينذر لغير الله ويذبح لغير الله ويستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله فكأنّه لم ينطق الشهادتين وبطلت جميع هذه العبادات. ولماذا؟ لأنّ مقتضىٰ شهادة أنْ لا إله إلّا الله تجريد الإخلاص في العبادات كلّها لله ومقتضىٰ شهادة أنّ محمدًا رسول الله تجريد المتابعة للنبيّ ﷺ، وهذان شرطان لا يقبل الله من المرء عبادةً حتىٰ يستجمعهما كليهما.

الوجه الثالث: إحباط العمل وهذا دليله قوله تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

الوجه الرابع:

عدم مغفرة الله الشرك لمن مات عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾.

فالشرك لا يغفره الله لمن مات عليه.

وهاهنا سؤالٌ: هل الشرك الأصغر تحت هذا الوعيد أو تحت المشيئة؟.

والجواب فيه قولان لأهل العلم:

أحدهما: أنّه تحت الوعيد ولا يدخل في المشيئة والمعنىٰ أنّ الله لا يغفره لمن مات عليه. ودليلهم عموم هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ وإيضاح ذلكم أنّ (أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر تقديره: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِر الشرك به.

وهذا يشمل الشركين الأصغر والأكبر، لكن يفرق بينهما من وجهين: أحدهما أنّ الأكبر ناقل عن ملّة الإسلام إلىٰ الكفر والأصغر ليس كذلك. وثانيهما: أنّ الأكبر موجبٌ للخلود في النار الخلود الأبديّ السرمديّ الذي لا ينتهي. وأمّا

---

(١) سورة الزمر: ٦٥.

الأصغر فليس كذلك.

القول الثاني: أنّه تحت المشيئة ولعلّ القائلين به استدلّوا بزجر النبيّ ﷺ لمن صدر منه شرك الألفاظ مثل: «ما شاء الله وشئت» قال: **أجعلتني لله ندًّا، قل ما شاء الله وحده**»[١].

وقال ﷺ لمن حلف بغير الله: «لا تحلف بأبيك ولا بغير الله فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك»[٢] مكتفيًا بهذا الزجر بخلاف من حلف باللّات والعزّىٰ.

قال: واللّات والعزّىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**»[٣] **يعلن البراءة قل لا إله إلّا الله**.

وفي آية النساء السابقة بشارة لمن كان مؤمنًا - وإن كان فاسقًا - بمغفرة الله لما لقيَهُ عليه من كبائر.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعني ما هو أقلّ من الشرك والكفر لمن يشاء. إذًا مرتكب الكبيرة الذي يلقىٰ الله عليها دون توبة هو تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذّبه، وإن عذّبه لم يخلّده في النار، كما جاء هذا مصرحًا به في حديث الشفاعة.

ومن الأدلّة علىٰ ذلكم أيضًا قوله ﷺ **«من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد (١٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وابن أبي شيبة (٢٧٢٢٧)، والطبراني (١٣٠٠٦)، والبيهقي (٣/ ٢١٧). من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: الصحيحة (١٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٧٥). انظر إرواء الغليل (٨/ ٢٨٢).

(٣) رواه النسائي (٣٧٧٦) و(٣٧٧٧)، وابن ماجه (٢٠٩٧)، وأحمد (١٥٩٠) و(١٦٢٢)، وابن حبان (٤٣٦٤) و(٤٣٦٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢٥٦-٢٥٥/ ٣).

لقيه يشرك به دخل النار» أخرجه مسلم[١] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وتأملوا «لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة» يعني منفي عنه لقاء الله علىٰ شركٍ وكفر، كذلك «ومن لقي الله يشرك به دخل النار» وإن عمل أي عمل.

الوجه الخامس:

تشبيه الشرك بالشبكة وهي المصيدة التي يصاد بها حيواناتٌ بريّةٌ وبحريّةٌ، ومعنىٰ هذا أنّ من وقع في الشرك يعسرُ عليه أن يتخلص منه إلّا من رحم الله وسبق في علمه تعالىٰ وجرىٰ به قلمه أنّه أهلٌ للهداية. وعُسْرُ التخلُّصِ من الشركِ يرجع إلىٰ أمرين:

الأول: تقليد الماضين من الأسلاف، قال تعالىٰ عن أخبار الأمم حينما تدعوهم رسلهم إلىٰ التوحيد ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٢] أي سالكون آثارهم..إلىٰ غير ذلكم من الآيات الكثيرة.

ومن السنة حديث سعيد بن المسيب عن أبيه، لَمَّا حضرت أبا طالبٍ الوفاة جاءه رسول الله ﷺ يعوده، فقال: «يا عم! قُلْ: لا إله إلا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله»، وكان عنده عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وأبو جهل هشام بن المغيرة، فقالا: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟. فكلما أعاد النبي ﷺ، أعادا عليه: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟. حتىٰ كان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله»[٣].

الثاني: علماء السوء الذين نشّؤوا الناس علىٰ الشرك فنشأت ناشئة وجدوا

---

(١) (٩٣).

(٢) سورة الزخرف: ٢٣.

(٣) أخرجه البخاريُّ (١٣٦٠)، ومسلمٌ (٢٤).

آباءهم عليه. ويظنّون أنهَ من دين الإسلام ومثلهم كذلك من يدخل في الإسلام علىٰ أيدي هؤلاء، فيعلمونهم أنّ الشركيّات كالذبح لغير الله، الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، النذر لغير الله، يعلمونهم أنّ ذلك من دين الله الحق، فإذا جاءتهم الدعوة إلىٰ التوحيد يستنكفون ويستكبرون ويجادلون بالحجج الباطلة ويجالدون علىٰ ذلك.

وها هنا سؤال - الكلُّ مضطرٌ إلىٰ جوابه والإصغاء إليه في حياته العلمية والعملية، وهو أن رسول الله ﷺ معصومٌ من الشرك، فلماذا توجَّه الخطاب إليه في قوله ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

والجواب: لأنه إمام الأمة، فالشرك قد يقع فيه العبد، ولم يعصِم الله منه إلا الأنبياء، فهم معصومون منه، مشهودٌ لهم - عليهم الصلاة والسلام -، أما الأمة فينجو منه من نَجّىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويقع فيه من وقع.



(١) سورة الزمر: ٦٥.

قال المؤلف:

(وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ.

❁ الشَّرح:

تضمنت هذه الآية امرين:

الأمر الأول:

عدم مغفرة الله الشرك لمن مات عليه والشرك إذا أطلق فهو الشرك الأكبر وهو المخرج من ملة الإسلام.

والثاني:

أن ما دون الشرك والكفر ومنها الفواحش كالزنا والسرقة من مات عليها ولم يتب منها كان تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له وأدخله جنته وإن شاء عذبه لقاء إصراره على كبيرته وإن عذبه لم يخلده في النار والحاصل أن من مات على التوحيد الخالص لله موعود بالجنة والأحاديث في هذا كثيرة منها حديث جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ وقد تقدم، واعلموا هيأ الله لنا ولكم الرشد في الأمر ورزقنا وإياكم الإخلاص والسداد في الأقوال والأعمال أن الأحاديث في هذا الباب متواترة تواترا معنويا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ (قواعد).

القواعد في اللغة جمع قاعدة وهي ما يرتفع عليه البناء ويعتمد عليه قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾[1] الآية.

والمراد بالقواعد في قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي ما يحتج به المشركون من اتخاذ الآلهة فيما يزعمون وإقامة الدليل على بطلانها. وقوله أربع يعني أربع حجج للمشركين أبطلها الله عَزَّوَجَلَّ وأبطلها رسوله ﷺ.



(١) سورة البقرة: ١٢٧.

الْقَاعِدَةُ الأُولَى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

* الشرح:

وهذه القاعدة التي عرضها المصنف علينا الآن تتضمن ما يأتي:

أولا:

إقرار المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ بتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق والملك والتدبير والإحياء والإماتة وغير ذلك من الأمور التي هي أفعاله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الثاني:

موقف النبي ﷺ معهم، والجواب أن رسول الله ﷺ قاتلهم واستحل دماءهم وأموالهم وإن قال قائل لماذا؟.

فالجواب: أن توحيد الربوبية لم يكن بين النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأممهم فيه نزاع وإنما النزاع والخصومة بين الأنبياء وأممهم هي في توحيد الألوهية فقريش شاركوا من قبلهم من أهل الشرك في إنكار توحيد

الألوهية وهو توحيد العبادة ومن أقوالهم التي عارضوا بها رسالة محمد ﷺ ودعوته ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[(١)] والمعنىٰ أنهم استنكروا علىٰ النبي ﷺ إذ دعاهم إلىٰ أن يقولوا لا إله إلا الله لأنهم يعلمون معناها وهو أنه لا معبود بحق إلا الله وهم لا يقرون بهذا. وبهذا تعلمون معشر المسلمين والمسلمات أن قول بعض الجماعات الدعوية الحديثة معنىٰ لا إله إلا الله هكذا: لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله هذا هو عين توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون في زمن النبي ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام.

وهناك تفسير آخر وهو: لا حاكم إلا الله.

يريدون تحقيق الحاكمية وأن يحققوا الحكم وإن كان الناس مشركين.

وهذه تفاسيرُ باطلة:

فعلىٰ التفسير الأول: يلزم أن الرسل لم يدعوا إلىٰ توحيد العبادة بل دعوا إلىٰ توحيد الربوبية، وهذا ردَّه القرآن كما سمعتم في آية يونس السابقة.

اللازم الثاني: أن أبا جهل وأضرابَهُ ممن ماتوا علىٰ الكفر ماتوا علىٰ التوحيد، وأن قتلهم كان ظلمًا، وحاشا الرسول ﷺ أن يفعل ذلك. وقد أجمع الأئمة علىٰ أنهم ماتوا كفارًا سواء قُتلوا بالسيف، أو ماتوا حتف أنوفهم.

والتفسير الآخر: مُحدَث لا أصل له؛ لا يوجد في كتاب ولا سنة ولا عمل السلف الصالح.

فيتلخَّص من هذا أن النزاع بين رسول الله ﷺ ومن بُعِثَ فيهم هو في توحيد

---

(١) سورة ص: ٥.

الألوهية لا في الربوبية، وكذلك كان النزاع بين الأنبياء والمرسلين السابقين وأممهم في هذا الباب. ومن الأدلة على ذلكم - قوله تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[1].

الثالث:

الدليل على أنهم مقرون بتوحيد الربوبية ولم يدخلهم في الإسلام وهي آية يونس هذه ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2] هذا هو الشاهد وجوابهم صحيح لكن ماذا بعدها؟ تأملوا ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ والمعنى قل لهم أبيتم وأصررتم على الشرك وجحود العبادة لله وحده أفلا تتقون الله سبحانه وتعالى فتقروا بتوحيد الألوهية كما أقررتم بتوحيد الربوبية وهذه الآية لها نظائر كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

والمعنى أفلا تتعظون فتقروا بالعبادة لله وحده وأنه لا شريك له فيها.

ومنها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة يونس: ٣١.

(٣) سورة المؤمنون: ٨٤ - ٨٥.

(٤) سورة البقرة: ٢١ - ٢٢.

والمعنىٰ فلا تتخذوا مع الله شركاء و أخلصوا العبادة له وأنتم تعلمون أنه لا شريك له في هذه الخمس الأمور التي تضمنتها الآيتان من سورة البقرة.



الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ:

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1] وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[2].

❁ الشـرح:

أقول: هذه القاعدة الثانية وتتضمن مسوغين يزعم المشركون أنهما حجة لهم في اتخاذهم الآلهة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المسوغ الأول:

أنهم يقولون نحن ما عبدناهم إلا ليقربونا إلىٰ الله ومقصودهم أنهم لا يصلون إلىٰ ما يحبه الله ويرضاه إلا بواسطة هؤلاء الذين يزعمون فيهم الولاية فيلجئون إليهم ويقربون لهم القرابين ومن ذلكم استغاثتهم بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله في حياتهم وبعد مماتهم كما سيأتي مفصلا إن شاء الله تعالىٰ.

(١) سورة الزمر: ٣.

(٢) سورة يونس: ١٨.

هذا هو المسوغ الأول عندهم وإبطاله فيما تضمنته آية الزمر هذه وذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:

تسمية الله هذا الصنيع من المشركين عبادة. والعبادة هي حق الله وحده لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح من الإنس والجن.كما تقدم في أول الكتاب.

الوجه الثاني:

الوعيد الشديد والتهديد القوي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1] يعني يوقف العابد والمعبود يوم القيامة فيفصل بينهم فهناك يظهر البريء من عبادة هؤلاء في الدنيا والآخرة وهم الملائكة والنبيون والمرسلون والصالحون من الجن والإنس. كما يظهر من دعاهم إلىٰ عبادته أو أقرهم عليها ثم تكون العداوة بين هؤلاء المعبودين الداعين إلىٰ عبادتهم أو الراضين كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[2] كل يجحد وينكر فالملائكة والنبيون والمرسلون والصالحون من عباد الله صادقون في هذه البراءة وأولياء الباطل الراضون بعبادتهم والداعون إياهم إلىٰ عبادتهم هؤلاء كذبة فجرة فيلقون التبعة علىٰ هؤلاء كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً

---

(١) سورة الزمر: ٣.

(٢) سورة الأحقاف: ٥ - ٦.

لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[1].

فمن عُبد وهو راضٍ أو داعٍ إياهم إلىٰ عبادته فهو معهم يوم القيامة وإن تبرأ منهم.

ومن عُبد دون رضاه وتبرأ في الحياة الدنيا فهو بريء منهم.

وبهذا يمكن القول بأن المعبودين من دون الله ثلاثة أصناف:

أحدها: الجمادات من أحجار وأشجار، فهذه غير مكلفة، ولا يتوَّجه إليها فيما يظهر لِي خطاب يوم القيامة، لماذا عبدوكم؟.

الثاني: مَن كان بريئًا من عبادة القوم في الدنيا من الملائكة، والنبيين، وصالحي عباد الله من جنٍّ وإنس.

الثالث: من عُبِدَ وهو راضٍ بعبادتهم، أو دعاهم إليها.

فكِلا الفريقين يتبرأ من معبودِيه يوم القيامة، لكن الأول بَرِيءٌ منهم في الدنيا والآخرة.

والثاني كافر؛ فلو كان بريئًا ما دعاهم إلىٰ عبادته ورَضِيَ بها.

فهم يوم القيامة يختلفون.

وهناك معنىٰ آخر: أن الحكم يوم القيامة بين الأنبياء وأممهم الذين ردُّوا دعوتهم ولم يستجيبوا لهم.

الوجه الثالث:

تسجيل الكفر عليهم وأن هذا هو الذي حرمهم من الهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

---

(١) سورة مريم: ٨١ - ٨٢.

مَن هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ والسؤال أية هداية نفاها الله عنهم ؟.

والجواب: هي هداية التوفيق والقبول. لما سبق في علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنهم جند إبليس وحزب الشيطان استحوذ عليهم فغلبت عليهم الشُّقوة رضوا به متبوعًا لهم وتركوا الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1].

المسوغ الثاني:

احتجاجهم بأنهم شفعاء لهم عند الله يعني وسائط، والمعنىٰ أنهم يقولون نحن لدينا من الذنوب الكثيرة والكبيرة فلا نتوجه إلىٰ الله مباشرة لا بد من واسطة بيننا وبينه حتىٰ يقبلنا وهذا ما تضمنت إبطاله آية يونس هذه كما تضمنت إبطاله آية الزمر.



(١) سورة الزمر: ٣.

يقول المؤلف:

«وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[1] وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2].

❁ الشَّـرح:

الكلام في الشفاعة يتضمن مسائل عدة.

المسألة الأولىٰ: في معنىٰ الشفاعة، ليعلم كل مسلم ومسلمة أن الشفاعة لها معان ثلاثة: لغوي وعرفي وشرعي.

فالشفاعة في اللغة من الشفع ضد الوتر وهو العدد الزوجي كاثنين وأربعة وستة وثمانية فيصير انضمام الواحد للآخر شفعا فالشافع يصير شفعًا بانضمامه إلىٰ المشفوع فيه وأما معناها العرفي فهو سؤال الخير للغير مثال ذلكم: شخص معسر عليه دين فجاء إلىٰ رجل يثق به ويطمئن إليه فطلب منه أن يشفع له عند

(١) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

الدائن بتخفيض الدين أو تطويل الأجل فهذا الواسطة شافع وهو سائل الخير عند الدائن للمدين.

وأما معنىٰ الشفاعة في الشرع: فهو سؤال عبدٍ رضي الله قوله وعمله ربه مغفرة ذنوب بعض المجرمين.

المسألة الثانية: في أقسام الشفاعة كما دل عليها القرآن والسنة المتواترة الصحيحة فالشفاعة كما ذكر المؤلف شفاعتان إحداهما ما تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وهذه هي الشفاعة المنفية سميت منفية لأن القرآن نفاها واستدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذه الشفاعة المنفية بآية البقرة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

الشاهد من الآية (ولا شفاعة)، وليس هذا النفي مطلقا بل مقيدٌ، فلا شفاعة بغير إذن الله تعالىٰ، وقد تضمنت الآية أمورا أخرىٰ:

احدها:

أمر الله عباده بأن يستعدوا لذلك اليوم وهو يوم القيامة ومن الاستعداد له الإنفاق فيما يحبه الله ويرضاه سواء كان واجبًا كالنفقة علىٰ الأهل والعيال والزكاة أو مستحبًا كصدقة التطوع ووجوه الخير الأخرىٰ لأن النفقة تدل علىٰ حسن المنفق ومحبته الخير قال ﷺ: «**والصدقة برهان**»[2].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الثاني:

الاستعداد لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح وإلىٰ هذا الإشارة بقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾.

فإذًا لا ينفع المرء في ذلكم اليوم إلا ما يقدمه عند الله عَزَّوَجَلَّ من الأعمال الصالحة. وأجل الأعمال الصالحة بل أساسها وأصلها توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ثم سائر الطاعات من فرائض ونوافل. وكذلك الحذر من جميع النواهي ومجانبتها وأعظم ما نهىٰ الله عنه الشرك به ثم بعدُ سائر المعاصي فمن لقي الله موحدا مطيعا مجانبا الشرك نال شفاعة محمد ﷺ.

الأمر الثالث:

أنه لا حظَّ لكافر في الشفاعة. الشفاعة المشروعة التي سيأتي الحديث عنها وإلىٰ هذا الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ظلموا أنفسهم في الدنيا بإضاعة دين الله الخالص الذي جاءت به النبيون والمرسلون فلقوا الله علىٰ غير توحيد فظلموا أنفسهم من هذا الوجه. وأما الشفاعة المثبتة فهي التي تطلب من الله لأنها حقه وملكه قال تعالىٰ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[1].

وسميت مثبتة لأن الله أثبتها في كتابه وأثبتها رسوله ﷺ وصح بها النقل عنه.

المسألة الثالثة: في أقسام الناس في الشفاعة. اعلموا أيها المسلمون أن مذاهب الناس في الشفاعة ثلاثة:

احدها:

أهل الخرافة من غلاة المتصوفة وهؤلاء يثبتون الشفاعة لمن يزعمون فيه

---

(١) سورة الزمر: ٤٤.

الولاية إثباتا مطلقا. فيسألونهم إياها أحياء وأمواتا وهذه الشفاعة الشركية سألوها من غير الله عَزَّوَجَلَّ ولا يملكها إلا هو.

الثاني:

نفاة الشفاعة من الجهمية والمعتزلة والخوارج. فإنهم ينفون الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين لأن من لقي الله علىٰ كبيرة كان خالدًا مخلدًا في النار عندهم ومن حججهم قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[1].

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذه الآية جاءت في سياق ما أخبر الله به عن المشركين يوم القيامة. وكذلك يرد حجتهم هذه ويبطلها ما سيأتي من القرآن والسنة.

القسم الثالث:

أهل السنة فهؤلاء يثبتون الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين يوم القيامة بشرطين: **أحدهما**: إذن الله للشافع قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2] والمعنىٰ لا أحد يملك الشفاعة عند الله عَزَّوَجَلَّ إلا بإذنه فمن أذن له شفع ومن لم يأذن له لم يشفع.

الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع فيه. والله لا يرضىٰ إلا عن أهل التوحيد. ويجمع هذين الشرطين قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[3] والدليل علىٰ أن الله لا يرضىٰ إلا عن أهل

---

(١) سورة المدثر: ٤٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة النجم: ٢٦.

التوحيد أحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخاري وغيره(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه».

ومنها قوله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»(٢).

وإن قال قائل ما الحكمة من الشفاعة؟.

فالجواب كما ذكر المصنف: هي رحمة بالمشفوع فيه وتكريم للشافع.



(١) البخاري (٩٩)، وأحمد (٨٨٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واللفظ لمسلم.

يقول المؤلف:

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[1].

❁ الشَّرح:

أقول هذه القاعدة تتضمن:

أولا: بيان حال الناس حين بعث النبي ﷺ إليهم وهذه الحال أنهم متفرقون في عباداتهم فمنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد النبيين ومنهم من يعبد الشمس والقمر إلىٰ غير ذلك.

ثانيا: بم أمر الله نبيه ﷺ نحو هؤلاء المشركين؟.

والجواب أن الله أمره بقتالهم جميعا ولم يفرق بينهم لأن عباداتهم شرك مع الله والشرك وإن اختلفت وجهته فهو كفر بالله كما يقال الكفر ملة واحدة. فراكب الكفر كافر وراكب الشرك مشرك ودليل ذلكم هذه الآية ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ هذه آية الأنفال [٣٩]. وآية البقرة

---

(١) سورة الأنفال (٣٩).

نحوها ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[1] فقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه ﷺ والمؤمنين بقتال الكفار علىٰ اختلاف معبوداتهم الشركية وإن كان بعضهم يعبد الله ويعبد غيره بل جلهم يعبدون الله ويعبدون غيره.

وثانيا هذا القتال له غاية، ما غايته التي ينتهي إليها ؟.

غايته أولا: ذهاب الشرك حتىٰ لا تكون فتنة فسمىٰ الشرك فتنة لما فيه من التنازع والتباغض.

والثاني: إخلاص الدين لله ولا يقبل الله تعالىٰ عبادة خالطها شرك.



(١) سورة البقرة: ١٩٣.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1] وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾[2] الْآيَةُ.

❁ الشَّرح:

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أتىٰ بدليل كلِّ معبودٍ ذكره علىٰ حِدة؛ حتىٰ يكون المسلم الذي شرح الله صدره للإسلام علىٰ بينة، هذا وجهٌ.

ووجهٌ آخر: سدُّ الطريق علىٰ من يسوِّغ الشركيات الموجودة الآن في بعض الأقطار بأنها ليست شركيات وإنما هي توسلات.

فيُقال له: هذا الذي سلكته أنتَ من اعتقادك في الشمس والقمر أو الملائكة أو الأنبياء، أو غيرهم من صالحي عباد الله بدعوىٰ أنهم يملكون النفع والضر، وتجعلهم وسائط بينك وبين الله؛ هذا من جنس شرك قريش ومن دان دينها حين بُعِثَ إليهم رسول الله ﷺ.

بدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بردِّ عبادة القوم الشمس والقمر، والذي يظهر لي أنهم اتخذوهما إلهين لِمَا يرون من عِظَمهما؛ فالشمس سلطان النهار وضياؤه، والقمر

---

(١) سورة فصلت: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران: ٨٠.

سلطان الليل وضياؤه.

ومضىٰ أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ متفرقون في دياناتهم وها هو الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر ما يدلل علىٰ ما أسلفه وقد ضمنه شيئين:

الأول: ذكر المعبود بالباطل من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والثاني: ذكر الدليل علىٰ اتخاذ المشركين هذا المعبود المعين.

فآية فصلت وهي أولى آيات الباب تتضمن شيئين بل ثلاثة:

الأول:

ما قصده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إقامة الدليل علىٰ أن من معبودات المشركين الشمس والقمر. والحامل لهم علىٰ اتخاذ هذين معبودين مع الله أو دونه، ما يرونه من عظمتهما. ومن ذلكم أن الشمس سلطان النهار وضياؤه والقمر سلطان الليل وضياؤه فذكر هنا أن مما يوجب وحدانيته وأن العبادة هي حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شركة فيها لأحد: ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ يعني من الآيات الدالة علىٰ استحقاق الله عَزَّوَجَلَّ العبادة وحده دون سواه.

الثاني: نهي القوم عن السجود للشمس والقمر والمراد بالسجود عبادتهما وعبر به لأنه أعظم أركان الصلاة وأشرفها.

وهذا يفيد فائدة أخرىٰ: وهي نهي المسلم عن التشبه بالكفار.

وإيضاح ذلكم ما أخرجه مسلم[1] عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نُصَلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتىٰ ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتىٰ تميل الشمس

(١) (٨٣١).

وحين تضيف الشمس للغروب حتىٰ تغرب».

وفي حديث عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قلت: يا رسول الله أي الليل أسمع؟ قال: «صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتىٰ تطلع الشمس حتىٰ ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتىٰ يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتىٰ تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتىٰ تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار»[1].

الثالث: ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ والمعنىٰ إن كنتم صادقين في زعمكم عبادة الله فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا تنبيه إلىٰ أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانت لهم عبادات فكانوا يحجون ويعتمرون وينذرون ويعتقون ويتصدقون ويصومون عاشوراء فلم يقبلها الله منهم، لماذا ؟ لأن هذه العبادات خالطها الشرك: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وبهذا يعلم أن من يذبح لغير الله أو ينذر لغير الله أو يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ويتقرب لأهل القبور بقربات شتىٰ كالذبح والنذر يستفاد من ذلك أنه غير مسلم وإن صلىٰ وصام وحج وزعم أنه مسلم فيقال علىٰ سبيل العموم هذا مشرك لأن الشارع دل علىٰ أن صنيعه شرك من جنس شرك قريش حين بعث إليهم محمد ﷺ.

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٨٣٢).

الدليل الثاني:

آية آل عمران استدل بها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن من معبودات المشركين الملائكة ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ وهذه جاءت في سياق كامل تتضمن أن من آتاه الله الحكم والكتاب والنبوة لا يدعو إلىٰ عبادة غير الله سواء كان المعبود ملكا أو نبيًا أو غير ذلك لأنه لو فعل ذلك لخرج عن رفعة المقام التي نالها من الله عَزَّوَجَلَّ ويمكن أن يقال عبادة غير الله طاغوت. لأنه من الطغيان هو مجاوزة العبد حده في عبادة غير الله أو طاعة أي متبوع في غير طاعة الله ورسوله. وأما المعبودون من دون الله فقسمان: قسم بريء من هذه العبادة التي ألصقها به المشركون وهؤلاء صالحو عباد الله من الملائكة والنبيين وصالحي الجن والإنس.

والقسم الثاني: من رضي بعبادة نفسه من دون الله أو دعا الناس إلىٰ ذلك فهذا طاغوت وعبادته طاغوت. فمعنىٰ ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ يعني معبودين من دون الله عَزَّوَجَلَّ.



قال المؤلف:

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الْآيَةُ.

❁ الشَّرْح:

هذه آية المائدة، والسياق كاملًا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1] إلىٰ آخر الآية.

بعدها. وهذا يتضمن أمورا عدة:

الأمر الأمر:

فيها ذمٌّ لعبدة المسيح وأمه - عليهما الصلاة والسلام - مِن النصارىٰ، وهذا الذمُّ والتوبيخ كما هو ظاهر الآية يُظهره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة تبكيتًا لهؤلاء، يسألُ المسيح ﷺ بما تضمنته آية المائدة هذه:

والله يعلم أن نبيه وعبده ورسوله عيسىٰ ﷺ لن يقول هذا. لكن هذا لأجل إظهار الذمِّ لهؤلاء الذين عبدوهم من دون الله.

وإن قال قائل: وما دخلنا نحن بهؤلاء النصارىٰ؟.

والجواب: أن كلَّ ما ذمَّ الله عليه أهل الكتاب فهو متوجِّه إلينا إن نحن سلكنا مسلكهم؛ فيقع السالكون من هذه الأمة في عبادة النبي ﷺ ودعائه من دون الله

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

وسؤاله تفريج الكرب، أو قصدهم آل بيته أو غيرهم من الصالحين؛ هذا يُشبه تمامًا صنيع أهل الكتاب مع أنبيائهم.

ولهذا قال ﷺ كما في الحديث الصحيح: **«لا تطروني كما أطرت النصارىٰ المسيح ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**[١].

فأهلُ الكتاب قسمٌ فرَّطوا في أنبيائهم وأضاعوهم، كما صنعت اليهود مع عيسىٰ وأمه - عليهما الصلاة والسلام - ؛ بل وقتلوا كثيرًا من الأنبياء، وأجمعوا قتل المسيح ﷺ، ولكن الله نجَّاه منهم، فمكر بهم وألقىٰ شبه عيسىٰ علىٰ رجلٍ منهم فقتلوه، ورفع الله نبيه عيسىٰ ﷺ إليه.

والطائفة الثانية: مَن غَلَوا في أنبيائهم حتىٰ رفعوهم إلىٰ مرتبة الألوهية، وهؤلاء هم النصارىٰ، ولهم شبه من هذه الأمة؛ فإن الرافضة غلَوْا في آل البيت لا سيما علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابناه الحسن والحسين، حتىٰ عبدوهم من دون الله.

والنواصب ضيَّعوا آل البيت فسبُّوهم وشتموهم وآذوهم.

وأهل السنة - ولله الحمد - وَسَطٌ، يحبون آل البيت ويتولونهم ولا يرفعونهم فوق ما أنزلهم الله عَزَّوَجَلَّ ؛ لأنه قد استقرَّ عندهم - ولله الحمد - من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة أنه لا غلو؛ فالدينُ وَسَطٌ ليس فيه غلو، فالعبادة هي محض حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يستحقها مَن دونه مهما كانت منزلته.

الأمر الثاني:

رد غلو النصارىٰ في المسيح وأمه عليهما الصلاة والسلام إذ عبدوهما من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) مختصرا، ووقع في هذه الرواية: «فإنما أنا عبده»، و(٦٨٣٠) ضمن حديث طويل.

دون الله.

الأمر الثالث:

توبيخ هؤلاء وفضحهم علىٰ رؤوس الملإ.

الأمر الرابع:

أن المسيح وأمه عليهما الصلاة والسلام برآء من ذلك ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في آخر السياق ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[1].

الأمر الخامس:

الدليل علىٰ أن تثليث النصارىٰ هو في عبادة المسيح وأمه مع الله عَزَّوَجَلَّ فمن ذكر أن تثليث النصارىٰ في الأب والابن وروح القدس هذا مخطئ ولم يصب فالذي دل عليه القرآن هذا هو، هذا هو تثليث النصارىٰ.



---

(١) سورة المائدة: ١١٩.

قال المؤلف:

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[1] الْآيَةُ.

❁ الشَّرْح:

أقول: هذا هو المعبود الرابع عند المشركين وهو صالحو عباد الله من الجن والإنس وهذه الآية فيها قولان يعني في الصالحين الذين استدل المصنف علىٰ أن المشركين عبدوهم.

أحدهما: العموم وأن الصالحين هؤلاء كل صالح من الجن والإنس مثل عزير وعيسىٰ ومريم وغيرهم.

والقول الثاني: أن المراد بالصالحين طائفة من الجن عبدهم المشركون وليس بين القولين تعارض ولا منافاة فالآية عامة لكن الثاني أقوىٰ يوضحه ما جاء في سبب نزول الآية عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون)[2].

فمضمون الآية إذا:

أولا:

الثناء علىٰ الذين اتخذهم المشركون من الصالحين آلهة بتبرئة الله إياهم، ورفع

---

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠). واللفظ له.

ذكرهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ فالذي يبتغي إلىٰ ربه الوسيلة لا يدعي الشركة مع الله لأنه يُنافس في الصالحات فرائض ونوافل.

ثانيًا:

من موجبات ثناء الله عليهم الجمع بين الخوف والرجاء ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ وهكذا كل مؤمن ديدنه الجمع بين الخوف والرجاء فالرجاء يُطمِع في رحمة الله من عصىٰ والخوف يردع عن مغاضب الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ومساخطه.

ولهذا يقول بعض المهوسين والجهلة: التقوىٰ في القلب!.

كلَّما نُصِحَ نصيحةً، قال: التقوىٰ في القلب!.

ونحن نقول: التقوىٰ في القلب؛ لكن تظهر آثار استقامة القلب علىٰ اللسان والجوارح.

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ تعليل لما قبلها من جمع هؤلاء الصالحين بين الخوف والرجاء فبان بهذا أن اتخاذ قبور من عرفوا بالصلاح والتقوىٰ والسنة آلهة هو من البهتان والظلم والزور.



وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[١].

❁ الشَّـرْح:

هذا هو المعبود الخامس من المعبودات التي اتخذها المشركون وهذا المعبود هو الأحجار و الأشجار، ووجه مطابقة الآية للمسألة أن هذه المسميات هي أصنام من حجارة زعم المشركون أنها مشتقة من أسماء الله أو أنهم هم اشتقوها من أسماء الله فقالوا: مناة من المنان.

واللات فيها قراءتان قراءة التشديد[٢] وقراءة التخفيف فاللات اسم رجل بين مكة والطائف علىٰ طريق الحاج يلت لهم السويق ويطعمهم، يعني يعجنه ويطعمهم إياه. وبالتخفيف اسم للصخرة اللات اسم للصخرة التي كان يعجن عليها السويق لأنه ليس عنده إناء يسع ما يعده للضيوف فلما مات عكف المشركون علىٰ قبره أو علىٰ هذه الصخرة. واللات: عندهم مشتق من الإله.

والعزىٰ قالوا: من العزيز قالوا هذه العزىٰ أشجار يعكف عندها المشركون ويعبدونها ويتقربون إليها، وجاء في السيرة لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد ابن الوليد إلىٰ نخلة وكانت بها العزىٰ فأتاها خالد بن الوليد وكانت علىٰ تلال السمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتىٰ النبي ﷺ فأخبره فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئًا فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها

(١) سورة النجم: ١٩ – ٢٠.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٤).

أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزىٰ خبليه يا عزىٰ عوريه وإلا فموتي بِزَغْمٍ! قال: فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب علىٰ رأسها فعممها بالسيف حتىٰ قتلها ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ فأخبره قال: تلك العزىٰ[1].

وسياق الآيات بدأه الله بالتوبيخ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ والمعنىٰ: أخبروني ماذا تصنع؟ ما الذي سوغ عبادتها؟ وختم السياق أيضا بتوبيخ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[2].

فكل ما اتخذ قديما وحديثا مع الله عَزَّوَجَلَّ فليس له دليل يسوغ عبادته لا من قريب ولا من بعيد لا من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول عالم ملة علىٰ التوحيد والسنة.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (١١٥٤٧)، وأبو يعلىٰ (٩٠٢). وفي إسناده الوليد بن جميع منهم من ضعفه ومنهم من وثقه قال الحافظ في التقريب: صدوق يهم. وله شاهد عند ابن أبي شيبة (٣٧٧٨٨).

(٢) سورة النجم: ٢٣.

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ...» الحَدِيثُ[1].

❁ الشَّرْح:

الأنواط: جمع نَوط والنوط تعليق شيء علىٰ شيء فمعنىٰ ينوطون بها أسلحتهم: يعلقونها بها لطلب البركة منها زعمًا أنها تملك ذلك.

فالمشركون من شركياتهم يعمدون إلىٰ بعض الأشجار من سدر أو غيرها فيعلقون بها أسلحتهم تبركًا، ويعتقدون أن السلاح المعلق بهذه الشجرة المقصودة ينال قوة فلا يخطيء من يرمي به العدو، إلىٰ غير ذلك من الاعتقادات.

والتبرك قسمان:

أحدهما: اعتقاد القاصد أن هذا المتبرَّك به يملك البركة؛ فهو الذي يعطيها ويمنعها؛ فهذا شركٌ أكبر في الربوبية والعبادة.

وإيضاحه:

كونه في الربوبية: لأنه اعتقد متصرفًا مع الله؛ فالبركة من الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٨٩٧)، وأبو يعلىٰ (١٤٤١)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦)، وابن حبان (٦٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (ج٣/ رقم٣٢٩٢). وقال الترمذي: حديث حسنٌ صحيح. وصححه الألباني في ظلال الجنة ص (٣١).

ومن حيث أنه شركٌ في العبادة: فلأن المتبرِّك يتذلَّل له ويخضعُ له ويخشعُ له.

الثاني من أقسام التبرك:

اعتقاد المتبرِّك أن هذا المقصود سببٌ فقط والبركة من الله؛ فهذا محرَّم، وهو من وسائل الشرك الأكبر، ولهذا يعدُّه العلماء في الشرك الأصغر.

وهاهنا أمور:

الأمر الأول:

في قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الحديث..) المعنىٰ أكمل الحديث وتمامه أن رسول الله ﷺ قال: «**الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1] فبضميمة الحديث بعضه إلىٰ بعض نستفيد عدة فوائد منها:

أولا:

أن اتخاذ مُتَبَرَّكٍ به مع الله تعالىٰ، مع اعتقاد أنه يملك البركة هذا شرك أكبر فهو شرك في الربوبية من وجه وفي الألوهية من وجه آخر. فكونه شركًا في الربوبية لاعتقاد أنه متصرف مع الله وكونه شركًا في الألوهية بالتعلق به وإنزال الحاجة به والتقرب إليه.

الفائدة الثانية:

أن هؤلاء القوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم من الحدثاء وليسوا من السابقين الأولين وهذا صريح عبارة أبي واقد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «ونحن حدثاء عهد بكفر» فهم من مسلمة الفتح

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨.

خرجوا مع النبي ﷺ لغزو ثقيف وهوازن.

الفائدة الثالثة والرابعة:

أن هؤلاء القوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مقرون بالرسالة ولهذا قالوا يا رسول الله هذا وجه والثاني أنهم انزجروا فلم يفعلوا وحاشاهم فلو فعلوا ذلك لكفروا وبهذا يرد علىٰ شبهة من قال كيف تكفروننا في اتخاذ ما نتخذ من العكوف عند القبور والتقرب إليها، والنبي ﷺ لم يكفر حدثاء العهد فالجواب أنهم لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا لكفروا ولكنهم بقي فيهم لقرب إسلامهم شيء من الرواسب رواسب الجاهلية فاقتلعه النبي ﷺ بهذه الزواجر «**الله أكبر إنها السنن**» إلىٰ آخره..

الفائدة الخامسة:

إظهار شدة النكير والزجر علىٰ من أظهر خلاف دين الإسلام بقوله وهذا صريح عبارة النبي ﷺ وفي هذا رد علىٰ من يدعون المخالفات البدعية في الدين عامة وفي العقيدة خاصة بحجة المصلحة واجتماع الكلمة فالقوم كانوا في حال حرب خارجين إلىٰ حرب مع النبي ﷺ وهم يشكلون سدس المعسكر أو خمس المعسكر ومع هذا زجرهم النبي ﷺ علىٰ طلبهم ذلك «اجعل لنا ذات أنواط».

الفائدة السادسة:

أن مجرد الاسم لا يغير الحقيقة وإيضاحه في المقارنة بين الكلمتين فلننظر: أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم نادوه باسم الرسالة يا رسول الله وأصحاب موسىٰ ﷺ نادوه باسمه في غاية من سوء الأدب قالوا يا موسىٰ.

ثانيا:

أصحاب محمد ﷺ قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط» وأصحاب موسىٰ ﷺ قالوا:

﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ و مع هذا شبه النبي ﷺ المقالة بالمقالة وزجر.

الفائدة السابعة:

الخطر علىٰ من قال: إنا فهمنا التوحيد ولا داعي لكثرة المدارسة في العقيدة فقد يقع في أمور من الشرك لا يتفطن لها.

الفائدة الثامنة:

هذه القصة علم من أعلام نبوته ﷺ «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» يعني طرق ومسالك السابقين من اليهود والنصارىٰ ومن فارس والروم ولهذا يقولون أول من أحدث عبادة القبور في الإسلام الرافضة أخذوها عن اليهود.



يقول المؤلف:

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ:

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الْأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكِي زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ!!

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(١)] وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

۞ الشَّـرْح:

وهذه القاعدة تتضمن أولا:

مقارنة بين شرك المعاصرين وشرك القدامىٰ.وبسط هذه المقارنة سيأتي بعد إن شاء الله.

ثانيا:

الدليل علىٰ أن المشركين يشركون في الرخاء لا في الشدة، فآية العنكبوت هذه صريحة الدلالة علىٰ ذلك. فإذا ركبوا في الفلك يعني السفينة دعوا الله مخلصين له الدين حين يرون الأمواج المتلاطمة من آثار الرياح العاتية يجأرون بالدعاء الخالص لله عَزَّوَجَلَّ يسألونه النجاة فإذا نالوا النجاة وخرجوا إلىٰ البرية وأمنوا أشركوا.

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٥.

ومما حكاه النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء»[1] في كرامات محمد بن علي بن محمَّد صاحب مرباط: «أنَّ خادمه بـإفريقيا سافر سفرًا طويلًا فبلغ أهله أنَّه قد مات، فتعبوا وأتوا إلى الأستاذ، فأطرق ساعةً، وقال: لم يمُت بـإفريقيا، فقيل له: قد جاء الخبر بموته، فقال: إني اطَّلعت على أهل الجنَّة! فلم أجده فيها! ولن يدخل فقيري - يعني تلميذي - النَّار! ثم جاء الخبر بحياته!» اهـ.

ومن خلال كتب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وواقع الناس يظهر أن مشركي زماننا أغلظ في الشرك من القدامى من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:

ما ذكره الشيخ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كون المشركين الأولين يخلصون الدعاء لله في الشدة ويشركون في الرخاء وأما مشركو زماننا فيشركون في الرخاء والشدة.

الثاني:

أن المشركين الأولين يدعون مع الله صالحين من عباده إما ملائكة وإما أنبياء وإما غيرهم من صالحي عباد الله من الجن والإنس أو يدعون أحجارًا وأشجارًا غير مكلفة ومشركو زماننا يدعون مع الله من اشتهروا بالفسق والفجور كالزنا والسكر وغير ذلك من عظائم الآثام.

الوجه الثالث:

أن المشركين الأولين شركهم كان في الألوهية كما مضى من إقرار المشركين بالربوبية وذكرت هناك الأدلة عليه وأما مشركو زماننا فشركهم في

---

(١) (١/ ١٧٣ - الكتب العلمية - ط الأولى).

الربوبية والألوهية معا وعلىٰ رأسهم اليوم علي الجفري.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تم ما فتح الله به علينا من شرح هذه القواعد النافعة الماتعة المباركة، وحسبي ولا أدعي الكمال أني اجتهدت في بيان ما تضمنته مضيفا خلال الشرح ما تيسر لي من أدلة النصوص، والله أسأل أن ينفع به أهل الإسلام وأن يجعله ثقيلا في موازين أعمالنا يوم نلقاه.

وتم الفراغ منه ظهر الخميس الثاني عشر من شهر شوال عام ثلاثة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة المباركة.

وكان ذلكم في المدينة النبوية وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.





فهرس المحتويات




تم بحمد الله



البيان المرصع
شرح
القواعد الأربع

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة
الجوال: 554250098 (00213)
تلفاكس: 26936739 (00213)
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com